

رمضان في غزة..

مل يأتي بالبهجة التي أذابتها الحروب؟

- . . .
- • •
- • •



# فلسطين وأهلها

## رمضان في غزة.. هــــــل يأتي بالبهجة التي أذابتها الحروب؟



ما أن يحط شمر رمضان المبارك رحاله في قطاع غزة حتى يحمل معه طقوساً فريدة من نوعها في استقباله، بفعل تراكم التجارب وتزاحم الذكريات من دمار وفقد ونزوج، عاشما السكان على مدار سنوات طويلة تحت وطأة القصف الإسرائيلي الشديد، وبضع فصول من المعارك الطاحنة بين المقاومة الفلسطينية والاحتصلال، وعدد لا بأس به من الاجتياحات البرية؛ فبات الخوف والحذر وترقب الأحداث في القدس المحتلة وضواحيها، والتي ينتظر أن يرُى أثرها في القطصاع، بمثابة تحرى ملال الشهر حسب طقوسهم.

مؤخراً، دفعت التطورات الميدانية المتسارعة، وارتقاء العشرات من الشمــــداء في مدن الضفة الغربية المحتلة، لاسيما مدينتي نابلس وجنين، أمالي القطاع إلى تذكر ما جرى من أحداث ميدانية ساخنة قبل اندلاع معركة "سيف القدس"، في العاشــــــر من أيار / مايو عام 2021، حين دخلت المقاومة الفلسطينية بغزة في جولة مديــــدة من القتال مع "إسرائيل"، رد"ا على اقتحامات المسجد الأقصى، وسياسات التمجير المتعمدة بحــــق سكان حي الشيخ جراح الواقع في الجانب الشرقى للقدس المحتلة.

حينها نغصت "إسرائيل" على السكان إحياءً ما تبقى من ليالي الاعتكاف الأخيرة للشهر المبــــارك، وقتلت فرحة الاستعداد لاستقبال العيد، ليتحول القطاع في لحظات سريعة إلى طقوس من نوع آخر كان قد اعتاد عليما في جولات قتال سابقة علـــــــى مدار العام، كوداع الشهداء، وتفقد الجرحى، وإعانة العائلات المشردة.

### سحور وإفطار على وقع القصف

لم تكن معركة "سيف القدس" وحدها من تركت طقوسًا مختلفةً لرمضان الغزيين، حيث عاش قطاع غزة معظم أيام الشهر تحت حمم الصواريخ وقذائف الدبابات، في أطول معركة أدارتهـــا المقاومة الفلسطينية خلال تموز/ يوليو، وآب/ أغسطس عام 2014 لـ51 يومًا، وقتها كانـــت عيون الفلسطيني ترقب عن كثب تداعيات ما جرى في الضفة الغربية المحتلة بعد اختطاف ثـــلاثة مستوطنين إسرائيليين في 12يونيو/ حزيران والعثور عليهم قتلى بعد 18 يومًا، إلى جانب حـــرق مستوطنين الطفل "محمد أبو خضير" من مدينة القدس المحتلة.

ما بين معركتي "سيف القدس" و"العصف المأكول"، تبقى المئات من جولات التصعيد الإسرائيلي جواً وبراً عالقة في ذاكرة الفلسطيني منذ بدء انتفاضة الأقصى الثانية عام 2000، يشحن فـــــي طياتها الاحتلال لغة التهديد والوعيد، وما أن يحل الشهر الفضيل حتى تحيا في داخله الكثير مــن الصور والذكريات المؤلمة، تارةً على مائدة الإفطار، وتارةً أخرى على السحور.

ليست صور الدمار والخراب والعدوان وحدها من تعيد للفلسطيني تفاصيل ما عاشه في الأيــــــام الفضيلة، بل إن بطولات المقاومة خلال معاركها مع الاحتلال أضفت رونقًا خاصًا للشهر ذاتــه، إذ باتت عملية خطف الجندي الإسرائيلي "شاؤول أرون"، على يد قوة خاصة من كتائب القســـــام خلال معركة "العصف المأكول"، ذكرى سنويةً تخلدها سجلات الصراع مع "إسرائيل"، بالإضافة إلى معركة "أيام الغضب"، شمالي قطاع غزة، والتي استمرت 17 يومًا، من 29 أيلول/ سبتمبــــر وحتى 16 تشرين الأول/ أكتوبر 2004، ونفّ ذت المقاومة خلالها عددًا كبيرًا من الاشتباكــــات واقتحامات المستوطنات والكمائن والصواريخ، وقد دخـــــــــــــــــــــــــل رمضان على الغزيــّـين أثناء هذه المعركة التي سمّاها الاحتلال "أيــّـام الندم".

### حياة بالجدول

لم يكن العدوان وحده من يفسد طقوس العبادة والحياة في شمر رمضان لسكان القطاع، بل الاستمرار في تفاقم سياسات الحصار الإسرائيلي المفروضة عليه منذ عام 2007، وتسببها حتــــى الآن في تعطيل نحو 47% من المشاركين في القوى العاملة عن العمل، ومعاناة نحـــــو 53% من السكان من انعدام الأمن الغذائي.

أفرزت تلك السياسات أعقد أزمة تواجه سكان القطاع منذ منتصف عام 2006، وهـــــي انقطاع التيار الكهربائي لساعات طويلة بشكل يومي، إثر قصف الاحتلال لمحطة التوليد الوحيدة، ما أدى إلى توقفها عن العمل بشكل كامل، والتسبب في عجز كبير بالطاقة الكهربائية، حينها اضطــــر الفلسطيني إلى جدولة تفاصيل حياته اليومية وزياراته للأقارب والأصدقاء وفقاً لساعات مجــيء الكهرباء.

وعليه، فإن متابعة الأخبار المتعلقة بجدول الكهرباء اليومي وتغيراته المفاجئة بالنسبة لسكان القطاع، لا سيّما في الأيام الفضيلة، لا تقل أهمية عن تتبع أدق تفاصيل ما يجــــري طيلة أيام العدوان الإسرائيلي، حيث لا يمكن أن تعقد، ولا أن تلبـى دعوات الإفطار الرمضانيـــــة للأقارب والأصدقاء إلا وفق الساعات مجيء التيار الكهربائي، بينما، تتلمس العائلات الغزية لـــــقيمات إفطارها وسحورها، أغلب أيّام رمضان، على العتمة مع انقطاع الكهرباء.

ومع قرب دخول الأزمة عامها السابع عشر، وتعمّ د "إسرائيل" قصف مخازن الوقود فــــــى كل

عدوان، حاول الفلسطيني في القطاع ابتداع حلول بديلة بعد انسداد أفق الحل السياسي، بــــدعاً بالشموع، ومروراً بـ "ليدات إضاعة" تعمل على البطاريات، ومولدات منزلية صغيـــــرة، وصولاً للمولدات التجارية المنتشرة حالياً على نطاق واسع، إلا أن ارتفاع ثمـن المولدات لا يسمح للكثيرين بالاشتراك في خدماتها بسبب تردى الأوضاع الاقتصادية يُ

في العام الماضي، استمرت أزمة الكهرباء على النحو ذاته تقريباً، إذ لا يحصل السكان فـــي قطاع غزة على الكهرباء سوى لمدة 12 ساعة يومياً في أفضل الأحوال، وهي ساعات تقـــل في أحيانٍ كثيرة ً . ويتوقف استمرار الخدمات على استمرار فتح معبر كرم أبو سالم لإدخال الوقود، والــذي قد يغلقه الاحتلال في أي وقت وفقاً لـ "تقديراته الأمنية"، إلى جانب استمرار تمويل الوقود الذي تعمل به محطة توليد الكهرباء الوحيدة في قطاع غزة، حيث تتكفل دولة قطر بدفـــــع ثمن الوقود منذ سنوات . آ

## طقوس" غزاوية" ثمينةً

تظمر ملامح استقبال الشمر في غزة عند الدخول إلى "ســــــوق الزاوية" الشعبي، ذي الطراز العثماني، بتصميماته التي تميزه عن باقي أسواق القطاع، حيث يقع بين شارعي عمـــــر المختار والوحدة الرئيسين وسط المدينة، وتتميز ممراته الجانبية بالأسقف المقببة والمعقودة بعقود متقاطعـــة، فيما يعكس ممره الرئيسي مدى دقة العمران القديم، ما جعله قبلة توافد ٍ لكل الفئات والشرائح المجتمعية من شمال القطاع حتى جنوبه طيلة أيام العــــام، حيث تنتشر عند مداخل السوق الرئيسية بسطات بيع الفوانيس والزينة، وحبال الإضاءة وغيرها ٤٠

عند مدخل السوق، المضاءة ممراته بالفوانيس الرمضانية، وعلى وقــــــع أغاني وأهازيج خاصة باستقبال الشمر، يعرض الباعة والتجار بضاعتهم ومنتجاتهم، مثل التمور والفواكه المجففة، والبهارات والمكسرات النيئة، والمخللات، والأوراق العطرية الخضراء كالبقدونــــــس والنعناع والجرجير، إلى جانب ألعاب الأطفال، والمشروبات الطازجة، والتي تميز الشهر وتبل ريق الصائم عند إفطاره، مثل الخروب وعرق السوس و الكركاديه وغيرها.

أما عن حلويات رمضان، فتتربع حلوى القطايف بأحجامها المختلفة وحشواتها المتنوعـــة بجوز الهند والقرفة وعين الجمل والزبيب وغيرها، وسط أصناف الحلويات الأخرى، حيث يطلـــق عليها السكان اسم "فاكهة رمضان"، حيث تكثر نقاط بيعها داخل الأسواق وخارجها، وعلى طـــــول الطرقات، ما جعلها مصدر رزق وفير للعديد من العائلات الفلسطينية، لاسيمــــا وأنها لا تباع في الأيام العادية.

#### رائحة من القدس

إحياءُ صلاة التراويح، و"المسحراتي"، وإقامة المسابقات الرمضانية داخل المساجد، وتبادل الزيارات العائلية وصلة الأرحام، إلى جانب تنظيم الإفطارات الجماعية للأسر الفقيــــرة، وعائلات الشهداء والأسرى، وحلقات الذكر المكثفة للفئات العمرية كافة ؛ من أكثر الشعائر الدينية والطقــــوس الرمضانية التي يتطلع سكان القطاع إلى تأديتها على أكمل وجـــــه دون أيّ منغصات إسرائيلية، كالتي اعتادوها في الحروب الماضية.

تجذب المساجد الكبيرة، ذات المعالم الأثريــــة، والجدران العتيقة سكان غزة في أيام رمضان، لاسيما في ليلة القدر والعشر الأواخر منه، حيث يتسابق عشرات الآلاف مـــن الفلسطينيين في الحضور مبكراً بصحبة عائلاتهم وأطفالهم، كما في المسجــــد العمري الكبير، أكبر مساجد القطاع، وأهم معالمــــه الإسلامية والتاريخية، إذ يستقطب الآلاف من الزوار تحت أقواسه التاريخية، وبأصوات الأئمة العذبة والندية القادمة من مختلف مدن القطاع.

يستحوذ المسجد العمري على مكانة كبيرة في نفوس سكان غزة، إذ يرون المكوث فيه لساعات طويلة تعويضاً جزئيـاً عن حرمانهم من زيارة المسجد الأقصى في القدس المحتلـــــة، فلا تخلو جنباته من الدورس والدعاة على مدار العام، حيث يضم في طابقــه الأول قاعة رئيسية للصلاة، ومصلى للنساء، بينما يضم الطابق العلوي مدرسة لتعليم القرآن الكريم، والسفلي يحتوي على قاعة استقبالات، وأخرى أثرية يتعدى عمرها ألفى عام مجهزة لتكون متحفاً إسلامياً. أ

وعلى الرغم من محصولات الفلسطينييصن في قطاع غزة استقبال شهر رمضان المبارك، والاستعداد لتأدية طقوسه على أكمل وجه والخروج للتسوق في البازارات والأسواق الرمضانية، تبقى احتمالات التصعيد الإسرائيلي واردًة، بالتزامن مع التطورات المتلاحقة في مصدن الضفة المحتلة، لا سيما مع ما صرح به نائب رئيس أركان كتائب القسام في صدخة "مروان عيسى"، منتصف الشهر الجاري آذار/ مارس 2023، حين قال: "إن أي تغيير في الوضع القائم في المسجد الأقصى سيحوّل المنطقة إلى زلزال.. وإن المقاومة في غزة تتيح الفرص للمقاومة في الضفة، لكن ذلك لا يعنى بقاء غزة صامتة ".\*